جنينية بالحساب التاريخي لمنطق الزمن (٣٧ سنة فقط). وتكوّن الثاني يجري عبر تدمير الشعب الاول، وجوداً وذاكرة (مقولة القدوم الى ارض بلا شعب). بينما استمرار الاول مرهون باستمرار مقاومته. اما الشكل الذي يتخذه هذا الصراع، فهو هجوم من الطرف الثاني، في الوقت الذي يتخندق الأول مدافعاً. وهذا المظهر للصراع هو الشكل الذي عرفته المائة سنة الاخيرة. متى ينتقل الفلسطينيون إلى الهجوم؟ وهل يستطيعون ذلك؟ هذان هما التساؤلان اللذان تبنى عليهما حركة التحرر الوطني الفلسطينية مشروعها السياسي لترجمة المجتمع الفلسطيني الى دولة (دولة فلسطينية) أسوة بالتطور الحضاري الذي عرفته شعوب العالم كافة في العصر الحديث.

وصورة الوضع القائم، فلسطينياً، تتمثل في وجود فلسطينيين خارج جغرافيا فلسطين (اللاجئون)، وفلسطينيين «اسرائيليين» لهم صفة مواطنية الدولة الاسرائيلية (الجليل والمثلث والنقب) ويشاركون في اشكال نشاطاتها المتعددة، بما في ذلك النشاط السياسي كاقلية اثنية، وفلسطينيين تحت الاحتلال (الضفة والقطاع). المقيمون على ارض فلسطين يواجهون تحدي الحفاظ على وجودهم، وتمثل ظاهرة الصراع على الاراضي والحقوق الانسانية الوجه الحالي للصراع مع دولة اسرائيل، يضاف اليها، في مناطق الضفة والقطاع، الصراع على حق التعبير السياسي في مواجهة دولة الاحتلال. اما اللاجئون فيتمثل صراعهم مع اسرائيل على حق العودة الى اراضيهم التي اكرهوا على الخروج منها في العام ١٩٤٨، اضافة الى حقهم وحق اخوتهم، المقيمين، في التعبير عن انفسهم مجتمعين في دولة. وتشكل منظمة التحرير الفلسطينية العنوان السياسي الذي يعمل لترجمة التشكيل الفلسطيني في دولة. ومن هذا المنطلق ثبتّت منظمة التحرير في ميثاقها الوطني «ان كل فلسطيني هو عضو في منظمة التحرير الفلسطينية».

بالمقابل، تعتبر اسرائيل نفسها دولة اليهود، اينما كانوا وأي جنسية حملوا. وتعمل هذه الدولة، والمؤسسات التي سبقت وجودها (المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية)، على دفع اليهود الى الهجرة الى «ارض ـ اسرائيل» حسب مصطلحاتها. ولاستيعاب المهاجرين اليهود، تعمل اسرائيل، كدولة، على تفريغ ارض فلسطين من سكانها الفلسطينيين بكل الاشكال، تبعاً للظروف وما تسمح به، بدءاً بالترغيب وانتهاء بالترهيب الذي يتخذ حتى صفة المجازر الجماعية، وكل ما بينهما من اشكال المضايقات والقمع.

ويمكن تلخيص هذا الوضع القائم بالاشارة الى التعبيرات السياسية المستخدمة في مشاريع الحلول السياسية. فمنظمة التحرير الفلسطينية تتحدث عن وجوب حل «المشكلة الفلسطينية» واعتماد جميع قرارات الامم المتحدة الصادرة حولها. اما اسرائيل فتتحدث عن حل «مشكلة المناطق المحتلة بعد ١٩٦٧»، واعتماد القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ الصادرين عن مجلس الامن الدولي بعد حربي ١٩٦٧ و ١٩٧٣.

المشكلة الفلسطينية في اطار مشكلة الشرق الأوسط

قلنا في فقرة سابقة، ان المشكلة الفلسطينية هي واحدة من مشكلات الشرق الأوسط، وهي جوهرها. اما المشكلات الاخرى، فتتمثل في احتلال منطقة الجولان السورية من قبل اسرائيل، وفي احتلال اسرائيل لجنوب لبنان، وفي وضع العلاقات بينها وبين مصر حتى بعد تنفيذ اتفاق كامب ديفيد، والذي يحاول المصريون استمرار القاء صفة الاحتلال عليه المتمثل في مشكلة طابا،